تحليل السياسات

عملية "ردع العدوان"

الفاعلون والسياقات

محمد علي إسماعيل

تصـــدر عن مركـز رواق بـــغداد للسياســـات العـــامة
Published by Rewaq Baghdad Center for Public Policy

7 كانون الأول 2024

مِداد مشروعٌ بحثي يعنى بتقديم اوراق وافكار دقيقة عبر سلاسل، وحلقات متكاملة، تحاول ان تغطي الطيف الواسع من المشكلات التي تواجه قطاعات الدولة العراقية بكل اركانها، ويعتمد بشكل اساس على اوراق السياسات العامة، والسيمنار، والحوارات المعمقة، بين مختلف الاطراف، من صناع القرار في الحكومة التنفيذية، الى التشريعين في مجلس النواب، فضلا عن الباحثين والخبراء في الجامعات ومؤسسات البحث العراقية، وهو احد مشاريع مركز رواق بغداد للسياسات العامة، و يعد هذا المشروع امتداداً للجهد الذي بذل على مدى خمس سنوات من عمر المركز الذي تأسس في العام 2019، اذ قدم خلال تلك السنوات عشرات الدراسات والمشاريع البحثية والأوراق التي نشرت في الموقع الإليكتروني لمركز رواق بغداد.

رئيس المركز عباس العنبوري

مدير المشروع انور المؤمن

تصميم اية الحكيم

تعود حقوق النشر الى مشروع مداد البحثي والمؤسسة المالكة له، وبالإمكان الاستفادة والاقتباس الجزئي من الاعمال البحثية مع الاشارة اليها، بالنماذج العلمية المعتمدة في كتابة المصادر، كما تجدر الاشارة الى انه لا يجوز استعمال هذه الدراسات او اعادة نشرها بأي شكل من الاشكال دون الحصول على اذن مسبق من المركز بالنسبة للمؤلف او الباحثين الاخرين.

وفيما يتعلق بأخلاء المسؤولية القانونية تجاه الاشخاص الطبيعيين او المعنويين فضلا عن الاحداث والقضايا، فأن مشروع مداد والمؤسسة المالكة له (مركز رواق بغداد) لا يتبنى بالضرورة، الاراء الواردة في هذه الدراسات التي تحمل اسماء مؤلفيها، ولا تعكس وجهة نظر فريق العمل للمركز او مجلس ادارته.

يمكن تحميل هذه الورقة مجاناً من الموقع الايكتروني www.rewaqnaghdad.org

رقم الهاتف: 07845592793

البريد الالكتروني info@rewaqbaghdad.org :

صفحة الفيس بوك: مركز رواق بغداد للسياسات العامّة

صفحة الإنستغرام RewaqBaghdad :

قناة اليوتيوبRewaq Baghdad :

عملية "ردع العدوان"

الفاعلون والسياقات

محمد علي إسماعيل

أعلنت إدارة العمليات العسكرية التابعة لـ "غرفة عمليات الفتح المبين" في شمال غرب سوريا، صباح الأربعاء 27 تشرين الثاني 2024، إطلاق عملية عسكرية تحت اسم "ردع العدوان"، بهدف توجيه "ضربة استباقية" لقوات النظام السوري والمجموعات المتحالفة معه التي تخوض اشتباكات عنيفة مع قوات الفصائل التابعة للغرفة في ريفي حلب وإدلب[1].

خلفيات الهجوم والفاعلين

ساد في الأسابيع الأخيرة شبه إجماع لدى عدد من الباحثين المختصين في الشأن السوري والدراسات الأمنية ودراسات الحرب على إمكانية تحرك الفصائل المسلحة السورية مستفيدة من الفراغ الذي تركه حزب الله عقب استنزاف قدراته على مدار العام الماضي في الحرب مع إسرائيل وخاصةً في الشهرين الأخيرين الذي تعرض فيهم الحزب لضربات قوية خسر فيها أمينَهُ العام ورئيس مجلسه التنفيذي وغالبية مجلسه الجهادي فضلاً عن القيادات المتوسطة وترسانة الحزب العسكرية.

وفيما يتعلق بالفواعل فقد برزت عمليتان عسكريتان هما "ردع العدوان" و "فجر الحرية"، الأولى أعلنتها إدارة العمليات العسكرية التابعة لغرفة عمليات الفتح المبين التي أنشأتها هيئة تحرير الشام منتصف 2019، بهدف إدارة وتنسيق العمليات العسكرية في الشمال السوري بين الفصائل المسلحة، وتتكون الغرفة من هيئة تحرير الشام، والجبهة الوطنية للتحرير التي اندمجت مع الجيش الوطني السوري، وحركة أحرار الشام وجيش العزة[2]، وهذه الفصائل تنشط في وإدلب وريفها وأرياف حماة واللاذقية وحلب الغربي[3].

أما العملية الثانية فقد أعلنت عنها الحكومة السورية المؤقتة التابعة للائتلاف السوري المعارض في تركيا، في اليوم الرابع لعملية "ردع العدوان". أطلق العملية الجيش الوطني السوري الذي بدأ في التشكل منذ 30 كانون الأول 2017، والذي يعتبر تحالف لعدة فصائل مدعومة من تركيا ويعد بمثابة الذراع العسكري للحكومة المؤقتة[4]. ولقد تم إطلاق العملية بهدف تحرير (المناطق المغتصبة التي يسيطر عليها نظام الأسد وميليشيات PKK وPYD الإرهابية)، بحسب اعلانهم.

الملاحظة التي ندرجها هنا أن الفصائل المنخرطة تحت لواء الجيش الوطني السوري، كانت قد انضمت لعمليات "ردع العدوان" وسيطرت بالفعل على عدد من المواقع العسكرية في إدلب وحلب كان أبرزها عملية الاستيلاء على مطار كويرس العسكري في مدينة حلب التي قامت به وحدات من فصيل حركة التحرير والبناء. الأمر الذي قد يشير إلى أن عملية فجر الحرية قد تم إطلاقها بضغط تركي حتى يتم ضبط وتوجيه مسار العمليات العسكرية في اتجاه قتال التنظيمات الكردية وطردها من مناطق الشمال السوري لأبعادها عن الأراضي التركية، وهو ما آتي أكله بالفعل في سيطرة الفصائل المسلحة على مدينة تل رفعت في اليوم التالي لإعلان عملية فجر الحرية.

[1] كلمة الناطق العسكري لغرفة العمليات الفتح المبين التي يعلن فيها بدأ عملية "ردع العدوان"، على الرابط التالي: https://x.com/hasanabdalgany/status/1861740693275689162.

[2] "غرفة عمليات الفتح المبين" اتحاد عسكري لفصائل المعارضة في الشمال السوري، الجزيرة نت، 30 تشرين الثاني 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/VJYgcvUR.

[3] عبد الحميد سليمان، من أشعل خطوط التماس بين المعارضة السورية وجيش النظام؟، إندبندنت عربية، 28 تشرين الثاني 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/7NsXxyah.

[4] بيان حـــول عمليّـــة فجـــر الحريـــة، صفحة الحكومة السورية المؤقتة على منصة إكس، 30 تشرين الثاني 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/erN5Xtlz.

سياقات العملية: المحلي والإقليمي والدولي

ساهمت مجموعة من العوامل في دفع الفصائل السورية المسلحة إلى الهجوم على المدن الخاضعة لسيطرة النظام السورية وحلفاءه، أهمها:

أولاً: السياق المحلي:

في خطوة لتمهيد الأرضية وإعطاء صبغة الشرعية للعملية العسكرية، طالبت "حكومة الإنقاذ السورية" الجناح المدني والسياسي لهيئة تحرير الشام، في 15 تشرين الأول 2024، غرفة عمليات "الفتح المبين" باتخاذ إجراءات فورية وحاسمة لحماية المدنيين وممتلكاتهم في منطقة شمال غربي سوريا، بعد تصاعد الهجمات الروسية والإيرانية. وقالت "إدارة الشؤون السياسية" في "حكومة الإنقاذ" "إن الفصائل الإيرانية كثفت هجماتها على منطقة شمال غربي سوريا، ما أسفر عن مقتل 8 مدنيين وإصابة 38 آخرين، وتهجير أكثر من 10 آلاف عائلة من منازلها". وأكد البيان "التزام حكومة الإنقاذ باتخاذ كل التدابير اللازمة للدفاع عن المدنيين وحماية حقهم في العيش بأمان وكرامة في وطنهم"[5].

هذا المطلب – ردع العدوان - إلى جانب مطلب وقف النزوح وعودة المهجرين إلى مدنهم كان بمثابة المبرر الأساسي للعملية العسكرية، ففي كلمة الناطق باسم غرفة عمليات الفتح المبين "حسن عبد الغني" أكد على أن هدف العملية هو "كسر مخططات العدو عبر توجيه ضربة استباقية مدروسة لمواقع ميلشياته"، كون الدفاع عن المدنيين في المناطق المحررة ليس خيارًا، بل هو واجب، وأن هدفهم الثابت هو إعادة المهجرين إلى ديارهم[6].

يشكل سكان مناطق شمال غرب سوريا غير الخاضعين للحكومة المركزية حوالي 6 مليون و600 ألف نسمة ضمن مناطق إدلب وريفها ودرع الفرات وغصن الزيتون، ثلثهم تقريباً يعيشون في مخيمات اللجوء[7]. هذا الوضع الديمغرافي إلى جانب الأوضاع الاقتصادية شديدة التردي، والتي تمثلت في ارتفاع نسبة البطالة العامة إلى 88.82% ونسبة التضخم بمقدار 1.07 % على أساس شهري و77.13 % على أساس سنوي. فضلاً انخفاض كمية المساعدات الإنسانية وارتفاع أسعار السلع نتيجة تدهور سعر الصرف[8]، عمل كدافع ومحفز للعملية العسكرية.

ثانياً: السياق الإقليمي: استنزاف قدرة حزب الله ومحور المقاومة والضوء الأخضر التركي.

العامل الحاسم في اتخاذ الفصائل المسلحة السورية لتلك الخطوة، هو الاستنزاف الشديد الذي تعرض له حزب الله اللبناني ومحور المقاومة، والذي أثر بشكل كبير على قدرات النظام السوري على السيطرة المكانية وردع خصومه. يرجع ذلك لعاملين الأول، هو أن قيادة الحزب والحرس الثوري التي كانت بمثابة المشرف الأساسي والمنسق بين قوات المحور في المنطقة وخاصةً في سوريا قد تم تصفيتها، بدءًا باغتيال رضي موسوي المسؤول المباشر عن تنسيق ودعم محور المقاومة[9]، ثم محمد رضا زاهدي قائد قوة

[5] حكومة الإنقاذ تطالب "الفتح المبين" بتحرك فوري وحاسم لحماية المدنيين شمالي سوريا، تليفزيون سوريا، 15 تشرين الأول 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/i1B4wtKD.

[6] المعارضة السورية تطلق عملية "ردع العدوان" شمالي البلاد، الجزيرة نت، 27 تشرين الأول 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/73OYofvk.

[7] التركيبة السكانية في الشمال السوري - تشرين الثاني 2024، صفحة منسقو استجابة سوريا، 18 تشرين الثاني 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/DtxpTZyW.

[8] الإحاطة الدورية لأحداث المشهد السوري - تشرين الأول 2024، عمران للدراسات الاستراتيجية، 08 تشرين الثاني 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/wpxpxo3X.

[9] محمد علي إسماعيل، مستقبل محور المقاومة وسيناريوهات التوسُّع الإقليمي للحرب، 07 أيار 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/3i6oZZ5n.

القدس بالحرس الثوري في سوريا ولبنان[10] واخيراً باغتيال السيد حسن نصر الله وقادة المجلس الجهادي لحزب الله. أما العامل الثاني فيتمثل في استنزاف قوة الرضوان أو القوات الخاصة لحزب الله وهي كانت بمثابة رأس الحربة للقوات البرية لمحور المقاومة في سوريا كونها الأفضل من حيث الانضباط والتدريب العسكري.

إن الاختلال الاستراتيجي الذي عانى منه محور المقاومة في سوريا ولبنان عقب مقتل قيادته السياسية والعسكرية، أدى إلى هزات كبيرة في المنطقة، تمثلت أبرز ارتداداتها على التحالف العسكري الداعم للجيش السوري ونظام بشار الأسد، ما أدى إلى انهيار معنوي كبير في صفوف ذلك التحالف، أعقبه انهيار مادي تمثل في عدم وجود إرادة للقتال عند قوات التحالف الداعم لنظام الأسد وهو ما ظهر في فرار تلك القوات من معسكراتها ووحداتها في ريف إدلب ومدينة حلب وريفها وريف حمص[11].

هناك عامل إقليمي آخر، يتمثل في الضوء الأخضر التركي الذي قد يكون أُعطى للفصائل السورية المسلحة، بهدف دفع النظام السوري نحو التوافق مع تركيا في بعض المسائل العالقة بين الطرفين والتي يأتي على رأسها مسألة تطبيع العلاقات. والشواهد على هذا الأمر تتضح من خلال بعض التصريحات والتسريبات، فبينما قال مصدر أمني تركي لـ "رويترز" إن "عملية المعارضة السورية باتجاه حلب تقع ضمن حدود منطقة خفض التصعيد في إدلب التي اتفقت عليها روسيا وإيران وتركيا عام 2019، وهي عملية محدودة لكنها توسعت بعد أن غادرت قوات الحكومة السورية مواقعها، لأن الهجوم جاء بعد هجمات قوات النظام على منطقة خفض التصعيد"[12]. فإن المتحدث باسم الخارجية التركية اعتبر العملية رداً على "الانتهاكات والاستفزازات المستمرة للنظام السوري والاعتداءات المتكررة على مناطق خفض التصعيد"، وهي تصريحات تبرر للمعارضة السورية القيام بهذه العملية.

ثالثاً: السياق الدولي.. انكفاء موسكو واشنطن

العامل الثالث الذي ساهم في دفع مسار العملية العسكرية، تمثل في انشغال القوى الدولية – واشنطن وموسكو – بساحة القتال الرئيسية في شرق أوروبا وضعف الإدارة الأمريكية في أيامها الأخيرة داخل البيت الأبيض.

لا شك أن روسيا منخرطة بشكل كامل في ساحة القتال في أوكرانيا، على الرغم من امتلاكها قوات في سوريا تنتشر في عشرين قاعدة عسكرية فضلاً عن عدة مدن سورية، لكن من غير الواضح مدى حجم هذه القوات فضلاً عن قدرتها على التحرك لمساعدة النظام السوري خاصةً أن تلك القوات تعتمد بشكل أساسي على القصف الجوي وهي بحاجة لقوات مشاة تعمل على صد هجوم الفصائل المسلحة وطردها

من المواقع التي استولت عليها، وهو غير المتوفر في الوقت الحالي خاصةً بعد الضربات التي تعرضت لها قوات محور المقاومة في سورية ولبنان.

إن رد الفعل العسكري الروسي البطيء على هجوم الفصائل المسلحة السورية، يؤشر إلى أن غالبية الأصول العسكرية خاصةً سلاح الجو الروسي قد تم نقلها بالفعل إلى ساحة القتال في أوكرانيا. فبالرغم

[10] مَن هو محمد رضا زاهدي العقل المدبر لـ«الحرس الثوري» في سوريا ولبنان؟، الشرق الأوسط، 02 نيسان 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/LwKS5R0M.

[11] علي عبد المجيد ومروان عبد القادر، إحاطة اليوم الرابع "العملية ردع العدوان"، عمران للدراسات الاستراتيجية، 30 تشرين الثاني 2024.

[12] مصادر أمنية تركية: عملية "ردع العدوان" تقع ضمن حدود منطقة خفض التصعيد، تليفزيون سوريا، 28 تشرين الثاني 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/NcZd7H34.

من استهداف القوات الروسية لمواقع المعارضة في شمال غرب سوريا في الأيام الأخيرة، إلا أن هذه الجهود أثبتت عدم فعاليتها في وقف أو الحد من الهجوم[13]. تبدو موسكو في هذه اللحظة مدركة لحدود قوتها في سوريا، ظهر ذلك في مطالبة المتحدث باسم الكرملين دميتري بيسكوف من السلطات السورية سرعة التحرك لاستعادة السيطرة في أقرب وقت ممكن، وهي المطالبة التي استشف منها أن موسكو تترك النظام ليدافع عن نفسه[14].

على الجانب الآخر، فإن الموقف الأمريكي في مرحلة ما يسمى في السياسة الأمريكية "البطة العرجاء" والتي تقترب من الشلل العام في التعاطي مع الملفات الداخلية والخارجية كونها مرحلة لا يكترث فيها أحد برئيس يغادر البيت الأبيض، تعتبر عامل حاسم في اتخاذ أي قرار دون الخوف من عواقب ردود الفعل الأمريكية. وعلى الرغم من ذلك فإن التعاطي الأمريكي مع الحدث يؤشر إلى أن الإدارة الأمريكية مرتاحة بنحو ما إلى الخطوة التي اتخذتها الفصائل المسلحة، كونها تصب بدرجة ما في مصلحة واشنطن وحلفاءها لجهة تقليم والحد من قدرات النفوذ الإيراني والروسي في سوريا[15].

عملت واشنطن مع أنقرة على دعم فصائل الجيش الوطني السوري، وفي ورقة أصدرها مركز سيتا للدراسات نرى أن واشنطن سلحت 21 فصيل مسلح يعمل تحت لواء الجيش الوطني، ثلاثة من هذه الفصائل تم دعمهم عبر برنامج البنتاغون لمحاربة داعش، والثمانية عشر الباقين من قبل وكالة المخابرات المركزية الأمريكية عبر غرفة عمليات (MOM) في تركيا، وهي غرفة عمليات استخباراتية مشتركة لـ "أصدقاء سوريا" لدعم المعارضة المسلحة. كما تلقى أربعة عشر فصيلاً من الفصائل الـ 28 صواريخ موجهة مضادة للدبابات من طراز (BGM-71 TOW) من الولايات المتحدة، هذه الصواريخ ظهرت في الأشهر الماضية مع فصائل الجيش الوطني وفي الهجوم الحالي ظهر أحدها على الأقل في عملية لهيئة تحرير الشام[16].

الخاتمة

تخدم العملية العسكرية التي أطلقتها الفصائل في شمال سوريا، أهداف عدة جهات محلية وإقليمية ودولية، فسيطرة الفصائل على كامل إدلب وريفها والتمدد لحلب وريف حمص يعطي غرفة عمليات الفتح المبين وهيئة تحرير الشام وذراعها المدني الممثل في حكومة الإنقاذ نفوذ أكبر في سورية ويسمح لها بتخفيف الضغوط الاقتصادية التي قلبت عليها سكان المناطق الشمالية عبر الحصول على موارد إضافية من المدن والمحافظات التي سيطروا عليها، وفي الوقت نفسه تخدم العملية على أهداف

الحكومة السورية المؤقتة التابعة للائتلاف السوري المعارض في فرض شروطها في أي عملية سياسية مقبلة.

على الصعيد الإقليمي سوف تسعى أنقرة إلى تعظيم استفادتها من العملية سواء لجهة الضغط على النظام السوري وحلفاءه في تمرير عملية التطبيع أو لجهة مواصلة أخذ العملية في مسار محاربة التنظيمات الكردية في الشمال السوري، كذلك ستعمد الولايات المتحدة إلى تقويض القدرات الروسية والإيرانية

[13] Russia unable to help Assad regime counter Syria rebel offensive due to being militarily tied down in Ukraine, sources say, middle east monitor, 01 December 2024, Available at: https://2u.pw/JUKLQMCz.

[14] مصادر سورية: روسيا ستتحرك "خلال ساعات" لتغيير مسار معركة حلب، سكاي نيوز عربية، 29 تشرين الثاني 2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/Q1Eao79H.

[15] سوليفان: ما يحدث في سوريا نتاج فعل الأسد، الجزيرة نت، 1 كانون الأول2024، متاح على الرابط التالي: https://2u.pw/io92y3VU.

[16] ÖMER ÖZKIZILCIK, Uniting the Syrian Opposition. The Components of the National Army and the Implications of the Unification, SETA, OCTOBER 2019 NO.54, P.10.

وفصائل محور المقاومة في سوريا، ولكن دون مستوى هزيمة كاملة، كون فوز أي طرف بشكل حاسم سوف يشكل تحدي للنفوذ الأمريكي والأهداف الإسرائيلية.

على الجانب الآخر، ليس من الواضح ما هو نوع القدرات التي تستطيع دمشق تعبئتها للرد على العملية التي أطلقتها الفصائل المسلحة، وكذلك الأمر الحاسم هو مدى القدرة التي تمتلكها روسيا الآن في سوريا، نظرًا لتورطها الحالي في أوكرانيا الذي اضطرها إلى تحويل الكثير من أصولها لجبهة شرق أوروبا. وأيضًا القدرة الإيرانية على تعبئة فصائل محور المقاومة أو تزويد القوات السورية بالعتاد، خاصةً مع بدأ شبه الحظر الجوي الإسرائيلي على الأجواء السورية والذي يستهدف منع جميع شحنات الأسلحة التي ترسلها طهران إلى حزب الله[17].

[17] Emanuel Fabian, Israeli jets block Iranian plane suspected of ferrying arms to Hezbollah over Syria, times of Israel, 01 December 2024, Available at: https://2u.pw/9VJWVro3.